شروط النهضة وبنية الحضارة في منظور مالك بن نبي

فاطمة مصطفى فرج الشيباني* - ادارة الدراسات العليا والتدريب
جامعة الزاوية / كلية الآداب/ قسم الفلسفة
Email :- Pg6241022004@zu.edu.ly

تاريخ الارسال 2025/7/25م تاريخ القبول 2025/10/26م

The Conditions of the Renaissance and the Structure of Civilization in the Perspective of Malik bin Nabi

Fatima Mustafa Faraj Al-Shibani* - Department of Philosophy, Faculty of Arts, University of Zawiya

Abstract

This research examines the Algerian thinker Malek Ben nabi's vision of the concept of civilization and the conditions for renaissance in Islamic societies. It analyzes his intellectual project, which links cultural backwardness with what he calls "susceptibility to colonialism." Bennabi proceeds from a profound understanding of civilization as an integrated system that brings together people, land, and time, within a cultural and ethical framework that guides this interaction.

The research focuses on the elements Bennabi considered essential for achieving renaissance, such as human development, awareness development, reform of religious thought, and the mobilization of individual and collective will. It also highlights his critique of consumerism and blind imitation, calling for transcending fascination with the West by building a civilizational project rooted in the Islamic self.

This research aims to explore the realism and relevance of Malek Bennabi's ideas in light of the current challenges facing Arab and Islamic societies, and to attempt to draw inspiration from his intellectual lessons to build a contemporary renaissance balanced between matter and spirit, reason and faith.

Keywords:
Civilization, Renaissance, Susceptibility to Colonization, Islamic Thought, Human Being, Reform, Civilizational Change

الملخص :

يتناول هذا البحث رؤية المفكر الجزائري مالك بن نبي لمفهوم الحضارة وشروط

النهضة في المجتمعات الإسلامية، من خلال تحليل مشروعه الفكري الذي يربط بين التخلف الحضاري وما يسميه "القابلية للاستعمار". ينطلق بن نبي من فهم عميق للحضارة كمنظومة متكاملة تجمع بين الإنسان، التراب، والزمن، ضمن إطار ثقافي وأخلاقي يوجّه هذا التفاعل.

ويركّز البحث على العناصر التي اعتبرها بن نبي ضرورية لتحقيق النهضة، مثل بناء الإنسان، وتنمية الوعي، وإصلاح الفكرة الدينية، إضافة إلى استنهاض الإرادة الفردية والجماعية. كما يُسلّط الضوء على نقده للذهنية الاستهلاكية والتقليد الأعمى، ويدعو إلى تجاوز الانبهار بالغرب من خلال بناء مشروع حضاري نابع من الذات الإسلامية.

ويهدف هذا البحث إلى استكشاف مدى واقعية وراهنية أفكار مالك بن نبي في ظل التحديات الراهنة التي تواجه المجتمعات العربية والإسلامية، ومحاولة استلهام دروس فكره لبناء نهضة معاصرة متوازنة بين المادة والروح، والعقل والإيمان.

الكلمات المفتاحية: الحضارة – النهضة – القابلية للاستعمار – – الفكر الإسلامي – الإنسان – الإصلاح – التغيير الحضاري.

مقدمة البحث.

تُعدّ قضية النهضة والحضارة من أبرز الإشكاليات التي شغلت الفكر العربي والإسلامي المعاصر، في ظل التراجع الحضاري الذي عرفته المجتمعات الإسلامية منذ قرون. وبينما تعددت المقاربات الفكرية التي حاولت تشخيص الأزمة وتقديم الحلول، يبرز مالك بن نبي كأحد المفكرين القلائل الذين قدّموا مشروعًا فكريًا متكاملًا لفهم بنية الحضارة وشروط النهوض بها.

لقد سعى مالك بن نبي إلى تحليل التخلف الحضاري في العالم الإسلامي بعيدًا عن التبريرات الخارجية، فركّز على "القابلية للاستعمار" بوصفها نتاجًا داخليًا لأزمة في الذات، قبل أن تكون نتيجة لعدوان خارجي. ومن هذا المنطلق، حاول أن يؤسس لفهم شامل للحضارة باعتبارها نتاج تفاعل ثلاثة عناصر أساسية: الإنسان، التراب، والزمن، ضمن إطار ثقافي وأخلاقي محدد.

ويتميز طرحه بتركيزه على البعد الفكري والأخلاقي في بناء الحضارات، رافضًا الاقتصار على الحلول التقنية أو السياسية فقط. كما أنه قدّم مفهومًا متوازنًا للنهضة، لا ينفصل فيه الجانب المادي عن الروحي، ولا العقل عن الإيمان.

في هذا البحث، نسعى إلى دراسة مفهوم الحضارة في فكر مالك بن نبي، وتحليل الشروط التي اعتبرها ضرورية لتحقيق النهضة، مع التوقف عند رؤيته لعوامل

الانحطاط، وسُبل تجاوزها. وسنحاول أيضًا رصد مدى راهنيّة أفكاره وإمكانية الاستفادة منها في بناء مشروع حضاري عربي إسلامي معاصر.

إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية البحث حول السؤال الآتي:

كيف فسّر مالك بن نبي أزمة التخلف الحضاري في العالم الإسلامي؟ وما الشروط التي وضعها لتحقيق نهضة حضارية شاملة؟

ويتفرع من هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية، منها:

1-ماماهية الحضارة عند مالك بن نبي؟

2-كيف بمكن اعتبار الإنسان كعنصر اساسي في عملية الحضارة؟

3-تكلم عن الفكرة الدينية كامل نهضوي؟

4ماراي مالك بن نبي في موضوع القابلية للاستعمار ومعوقات النهضة؟

5-ماهي شروط النهضة وبنية الحضارات؟

أهداف البحث:

1. تحليل مفهوم الحضارة كما صاغه مالك بن نبي وبيان عناصرها الأساسية.
2. التعرف على الشروط التي اعتبرها ضرورية لتحقيق النهضة في العالم الإسلامي.
3. دراسة مفهوم "القابلية للاستعمار" ودوره في فهم واقع التخلف الحضاري.
4. إبراز البعد القيمي والأخلاقي في مشروع مالك بن نبي الحضاري.
5. تقييم مدى راهنية أفكار بن نبي وإمكانية تطبيقها في الواقع المعاصر.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من الحاجة الملحة لفهم أسباب التخلّف الحضاري الذي تعانيه المجتمعات الإسلامية، واستلهام الرؤى الفكرية التي سعت إلى تشخيص الأزمة ووضع حلول عملية لها. ويتميّز فكر مالك بن نبي بعمقه وشموليته في معالجة قضايا الحضارة والنهضة، من خلال مقاربة تدمج بين العوامل النفسية، الفكرية، والروحية. كما يقدّم هذا البحث قراءة تحليلية لفكره في سياق الواقع الراهن، ويسعى إلى إبراز مدى صلاحية أفكاره كأساس لإعادة بناء المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي – الاستنباطي، من خلال تحليل النصوص الفكرية لمالك بن نبي، واستخلاص المفاهيم الأساسية المتعلقة بالحضارة والنهضة. كما يتم

توظيف المنهج التاريخي لتتبع تطور أفكاره ضمن السياق الزمني الذي عاش فيه. ويعتمد البحث كذلك على المنهج النقدي في تقييم أطروحاته وربطها بالواقع الراهن.

أولا ـ ماهية الحضارة عند مالك بن نبي :

يُعدّ مالك بن نبي امتدادًا لروح التجديد في الفكر الاجتماعي الإسلامي بعد ابن خلدون، إذ تناول بأسلوب تحليلي عميق نشأة الحضارات وأسباب أفولها، مستقرئًا سنن التاريخ وعلل الواقع. ورغم ما تنطوي عليه أطروحاته من رؤية استشرافية ونقد جذري لأمراض العالم الإسلامي، إلا أنّها بقيت مهمّشة في فضاء المؤسّسات الرسمية، تمامًا كما جوبه ابن خلدون بالتجاهل في عصره، لتظلّ مساهماته حبيسة التداول النخبوي، بعيدة عن التفعيل الفعلي في مشاريع النهوض الحضاري. ويستطيع المطلع على فكر بن نبي أن يلمس حرصه على تعريف مصطلحاته ومفاهيمه الأساسية التي تدور حولها تأملاته وتحليلاته. ولا شك أن لخلفيته العلمية وانضباطه المنهجي، بسبب دراسته الهندسة، أثراً في صياغة هذه التعريفات في صورة مختزلة حيناً، وفي إطار من الشرح والتحليل، أو المقارنة والمقابلة حيناً آخر》 بريون،2010،ص202

ويتّضح من فكر مالك بن نبي حرصه الشديد على ضبط مفاهيمه وتعريف مصطلحاته بدقّة، وهو ما يعكس خلفيته العلمية الواضحة وتكوينه الهندسي. فقد اعتمد أسلوبًا منهجيًا في صياغة المفاهيم، يتراوح بين التعريف المختزل والتحليل المقارن، مما يجعل مصطلحاته أدوات فكرية مركزية لفهم رؤيته الحضارية ومشكلاته التي تناولها، خاصة ما يتصل بأزمة العالم الإسلامي.

فالحضارة عند مالك بن نبي هي 《عبارة عن تنظيم معين للمجتمع على قواعد أخلاقية يجعله يبلغ مستوى القدرة على مواجهة جميع أعبائه بواسطة وسائل تعد منقوصة على وجه الإجمال، إذا قارناها بالوسائل التي تقع في حوزة بلدان أخرى نامية 》 بن نبي،1971،ص55

أن الحضارة هي تنظيم معين للمجتمع قائم على قواعد أخلاقية، تمكّنه من مواجهة تحدياته وأعبائه المتعددة باستخدام وسائل معينة، حتى وإن كانت أقل تطورًا أو نقصًا مقارنة بوسائل الدول الأخرى النامية.

وتعرف الحضارة ايضا عند مالك بن نبي بأنها ليست سوى 《إنتاج فكرة حية تطبع على مجتمع ما، قبل التحضر، الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ فيبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقاً للنموذج المثالي الذي اختاره. وعلى هذا النحو تتأصل جذوره في

محيط ثقافي أصيل يتحكم بدوره في جميع خصائصه التي تميزه عن الثقافات الأخرى والحضارات الأخرى » بن نبي،2002، ص198

وهنا يركز مالك على أن الحضارة هي فكرة حية تنتقل وتترسخ في مجتمع ما قبل مرحلة التحضر، وتُعد الدفعة التي تجعل هذا المجتمع يدخل التاريخ. تقوم على بناء نظام فكري متكامل مبني على نموذج مثالي يختاره المجتمع، مما يجعل جذوره متأصلة في محيط ثقافي أصيل يميزها عن غيرها من الثقافات والحضارات المتعددة .وأرى كباحث أن

كل تعريف يعكس جانبًا مهمًا من مفهوم الحضارة؛ الأول يسلط الضوء على البعد التنظيمي والعملي الذي يمكّن المجتمع من التكيف والتطور والتعريف الثاني يبرز الجانب الثقافي والفكري الذي يشكل هوية المجتمع، فالحضارة ليست فقط مجموعة من الأفكار أو القيم، بل هي نظام متكامل يربط بين الثقافة والتنظيم العملي،

(2)

ثانيا ـ الإنسان كعنصر أساسي في بناء الحضارة.

يركّز بن نبي على الإنسان باعتباره العامل المحرك للتاريخ. فالنهضة لا يمكن أن تحدث ما لم يُبْنَ الإنسان أخلاقيًا، فكريًا وروحيًا. ويؤكد أن تغيير ما بالناس لا يبدأ بتغيير ظروفهم المادية بل بتغيير ما في نفوسهم، استنادًا إلى الآية القرآنية: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم". سورة الرعد،الآية(11)و

يقول مالك بن نبي: «تكتسب الجماعة الإنسانية صفة المجتمع، عندما تشرع في الحركة، أي عندما تبدأ في تغيير نفسها من أجل الوصول إلى غايتها، وهذا يتّفق من الوجهة التاريخية مع لحظة انبثاق حضارة معينة»بن نبي،1986،ص18

ويرى مالك بن نبي أن المجتمع لا يصبح مجتمعًا حقيقيًا إلا عندما يبدأ في التحرك نحو التغيير. وهذا التغيير لا يكون عشوائيًا، بل يكون نابعًا من إرادة داخلية جماعية تسعى لتحقيق هدف أو غاية حضارية. ولابد أن يكون الإصلاح من الداخل اولا.

ويقول مالك بن نبي في كتابه: «آفاق جزائرية» ما يلي: «والتاريخ، في أي مستوى من الحضارة يتمّ إنجازه، إنما يمثل النشاط المشترك للأشياء، والأشخاص، والأفكار المتاحة في ذلك الحين بالذات، أي في نفس الأوان الذي يواكب عملية إنجازه» بن نبي،1973،ص161

وبهذا فهو يرى أن التاريخ ليس مجرد أحداث معزولة، بل هو نتيجة تفاعل ثلاث عناصر رئيسية:

1. الأشياء: وهي الوسائل المادية، كالأدوات والتقنيات والموارد المتاحة في ذلك الوقت.
2. الأشخاص: وهم الفاعلون في المجتمع، من أفراد وقادة ومفكرين وعلماء.
3. الأفكار: وهي المفاهيم، المبادئ، والرؤى التي توجه الأفعال وتُشكّل الوعي.

ويشير مالك بن نبي إلى أن وجود عدد كبير من الناس في مكان واحد لا يكفي لنقول إنهم يشكّلون "مجتمعًا" بالمعنى الحقيقي للكلمة. فالتجمعات التي تبقى على حالها دون أن تتغير أو تتطور، تظل في نظره مجرد "تجمعات بشرية طبيعية" وليست مجتمعات فاعلة فيقول: ﴿فإنّ كلّ جماعة لا تتطوّر ولا يعتريها تغيير في حدود الزمن، يخرج بذلك من التحديد الجدلي لكلمة (مجتمع)﴾ بن نبي،1978،ص16.

فالمجتمع الحقيقي عند ابن نبي هو الذي يتحرك، يتغير، يتطور، ويُعيد تنظيم نفسه مع مرور الوقت، ويُوجّه طاقات افراده نحو غاية حضارية مشتركة. أما إذا بقي الناس على عاداتهم القديمة، يتصرفون بنفس الطريقة، ولا يُحدِث الزمن فيهم أي تأثير حقيقي، فإنهم لا يدخلون ضمن تعريف "المجتمع" الذي يقصده.،ومن هنا تأتي الحاجة إلى ضرورة إعادة بناء الإنسان الأول الذي دخل في مرحلة جديدة من التاريخ، ومستوى أرقى من الوعي والفهم وأشكال أكمل من الفعل والسلوك، ولإعادة تحقيق ذلك يقول مالك بن نبي: ﴿ فحاجتنا الأولى هي الإنسان الجديد، الإنسان المتحضّر، الإنسان الذي يعود إلى التاريخ الذي خرجت منه حضارتنا﴾ بن نبي،2002،ص35

يوضح فيلسوفنا أن بداية النهضة لا تكون بالمشاريع الاقتصادية أو التقنية، بل بالإنسان نفسه: فكره، ووعيه، وقيمه. وهي تحتل الأهمية الأولى

فكما بدأت الحضارة الإسلامية الأولى بإصلاح الإنسان (في مكة ثم المدينة)، يجب أن تبدأ أي نهضة معاصرة من نفس النقطة: إنسان يعرف لماذا وُجد؟، وما دوره؟، وما القيم التي تحكم أفعاله؟.

هذا "الإنسان الجديد" الذي يدعو إليه، ليس شخصًا غريبًا عنا، بل هو امتداد لذلك الجيل الأول الذي حمل الرسالة وغيّر مجرى التاريخ.

ثالثا ـ الفكرة الدينية كعامل نهضوي :

مما لاشك فيه إن الدين بالمفهوم المالكي يشير أحيانا إلى أنه المنهج أو الطريقة التي تنظم سلوك الفرد والمجتمع معا، وأحيانا أخرى يدل على ﴿ وجود النزعة الغيبية

التي تعطي المبررات وتوجد لدى الأفراد الروح الجماعية 》 بن. نبي،1960،ص47

والنزعة الغيبية ليست مقصورة على الإيمان بالخالق، بل تتسع لتشمل الغيب

《 ولو كان غيبا من نوع زمني أي في صورة مشروع اجتماعي بعيد الأمل . مثل بناء مجتمع جديد يضع حجره الأول جيل وتواصل بناءه الأجيال المتتابعة 》 بن نبي،1986،ص51.

فكلمة "غيبا" هنا لا تعني فقط الغيب الروحي أو الماورائي (كالإيمان بالله أو بالملائكة)، بل تشمل نوعاً آخر من الغيب مرتبط بالزمن والمستقبل، أي ما لا يمكن رؤيته أو تحقيقه فوراً، ولكنه موضوع إيمان وأمل.

هذا الغيب الزمني يتمثل في مشروع اجتماعي بعيد الأمل، أي هدف أو رؤية مجتمعية كبيرة لا تتحقق دفعة واحدة، بل تحتاج إلى زمن طويل وجهود مستمرة عبر الأجيال.

ويفرق مالك بن نبي بين الدين المؤسس على الإيمان بالغيب ،وبين الدين المنسب للمادة وهو ما أشار إليه في كتابه الظاهرة القرآنية، حين قال: 《فالمذهب المادي مبدأه المادة التي هي العلة الأولى لذاتها . وهي أيضا نقطة البدء في ظواهر الطبيعة. فهي موجودة وغير مخلوقة 》 بن نبي،2013،ص73

أما 《 المذهب الغيبي فمبدأه أن الله خالق ومدبر للكون 》 المصدر نفسه،ص79.

وهذا له تأثيره على بناء الحضارة

فمالك بن نبي يرى أن المجتمعات التي تبنّت هذا التصور الغيبي، واعتبرت الله مصدرًا للوجود والقيم، كانت قادرة على بناء حضارات ذات بعد إنساني وروحي عميق.

بينما المجتمعات التي انزلقت في المذهب المادي، غالبًا ما وقعت في أزمة المعنى، وارتبطت حضاراتها بالنزعة الاستهلاكية أو السيطرة التقنية فقط، مما قاد في أحيان كثيرة إلى انحطاط أخلاقي كبير.

ويرى بن نبي أننا حينما نتأمل القرآن 《يبدو الدين ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته، كما تحكم الجاذبية المادة وتتحكم في تطورها والدين على هذا يبدو وكأنه مطبوع في النظام الكوني، قانونا خاصا بالفكر الذي يطوف في مدارات مختلفة من الإسلام 》 المصدر نفسه ،ص300

فهو نوع من الفطرة التي فطرت عليها النفس الإنسانية. ومسألة الفطرة في الإسلام هي أساس التوحيد والإنسان هو خليفة الله في الأرض لقوله تعالى: ﴿وكان النَّاسُ أُمَةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فَيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أوتُوهُ مِنْ بَعدِ مَا جَاءَتْهُمُ البِيِّنَاتِ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ أَمَنُوا لما اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ سورة البقرة،الاية،213. في البداية، كان البشر على فطرة التوحيد، متفقين على الحق.

ف أرسل الله الأنبياء ليبشروا الناس بالخير ويحذروهم من الشر والانحراف.

و أنزل معهم الكتب السماوية لتكون مرجعًا للفصل في الخلافات.

وقد جعل الله مهمة الوحي هي إصلاح الانقسام الذي حصل بين الناس.

لان بعض أهل الكتاب اختلفوا لا بسبب الجهل، بل عن بغي (ظلم وحسد)، رغم وضوح الحق.

والله وفق المؤمنين لقبول الحق واتباعه.

لان الهداية بيد الله، يخص بها من يستحقها من الناس.

رابعا ـ القابلية للاستعمار ومعوقات النهضة :

القابلية للاستعمار عند مالك بن نبي هي مفهوم محوري في تحليله لأسباب تخلف الأمم وخاصة العالم الإسلامي. ويرى أن الاستعمار لم يكن ليتمكن من السيطرة لولا وجود استعداد داخلي في المجتمعات المستعمَرة لتقبله. هذا الاستعداد ينبع من انحطاط فكري وأخلاقي يجعل الأمة عاجزة عن المقاومة الفعالة. فالمشكلة ليست في قوة المستعمِر وحده، بل في ضعف المستعمَر من الداخل. اذا يقول مالك بن نبي:

﴿ إن الفكرة التي يريد مالك أن يوضحها هي أن مقابل الاستعمار الذي يتصف بالمكر والخداع والشراسة هناك القابلية للاستعمار التي تتصف بالدناءة والخبث والخيانة﴾ .بن نبي،1979ص80

وهنا نكتشف أن الاستعمار ليس مجرد قوة خارجية تفرض سلطتها بالقوة، بل هو نتيجة لخلل داخلي في بنية المجتمعات المستعمَرة نفسها. ويحلل الباحث هذا الرأي كما يلي:

أولًا ـ الاستعمار كفعل خارجي:

في تصور مالك بن نبي، الاستعمار ليس مجرد احتلال عسكري أو هيمنة اقتصادية فحسب، بل هو فعل يتجذر في بنية فكرية وأخلاقية تمكّنه من السيطرة.و يتميز المستعمِر، كما يقول، بالمكر والخداع والشراسة، وهي سمات توحي بالدهاء

الاستراتيجي والعنف المتخفي الذي يهدف إلى السيطرة والتحكم، لا عن طريق المواجهة المباشرة فقط، بل عبر التلاعب بالأفكار، وتحطيم المعاني، وإعادة تشكيل الوعي.

ثانيًا ـ القابلية للاستعمار كمرض داخلي :

ان الأهم في فكر مالك بن نبي هو أنه لا يحمّل المسؤولية كاملةً للاستعمار، بل ينقل التركيز إلى ما يسميه "القابلية للاستعمار"، وهي الاستعداد الداخلي في نفسية الفرد والمجتمع لقبول الاستعباد والخضوع، والظلم وهي في رأيه ليست مجرد ضعف عسكري أو اقتصادي، بل انحطاط أخلاقي وروحي، يتجسد في صفات مثل:

الدناءة: أي الاستعداد لبيع القيم والمبادئ من أجل مصلحة آنية.

الخبث: أي تبرير الخضوع والتواطؤ مع المستعمِر باسم الحكمة أو الواقعية.

الخيانة: أي خيانة الذات، والتاريخ، والأمة، من خلال التعاون مع المستعمِر أو الصمت عن أفعاله.

ثالثا ـ البعد الأخلاقي والتاريخي:

مالك بن نبي هنا لا يدين المستعمِر فحسب، بل يدين أيضًا الانحطاط الحضاري الذي وصلت إليه الأمة ، والذي جعلها غير قادرة على الصمود أمام آلة الاستعمار ودمارها. وهذه الإدانة ليست أخلاقية فحسب، بل هي دعوة للنهوض، لإعادة بناء الذات، واستعادة الهوية والفاعلية

ويعتقد بن نبي ﴿ أن كثير من أفراد المجتمعات الاسلامية يعانون من القابلية للاستعمار حتى لو كانت بلدانهم غير خاضعة للاستعمار التقليدي. لكنها خاضعة للاستعمار الجديد الهيمنة والتبعية نتيجة لمستواها الحضاري المتدني أي تخلفها وانحطاطها الحضاري والأخلاقي﴾ بن نبي ،1989،ص86

ويشير مالك بن نبي إلى ان هذا النوع من الخضوع العميق لا يعود فقط للعنف الخارجي، بل ينبع من تركيبة نفسية وعقلية تشكلت بفعل تاريخ طويل من التخلف والجمود، مما جعل الشعوب تفقد ثقتها في ذاتها وتعجز عن الفعل والمبادرة. القابلية للاستعمار، كما يصورها بن نبي، ليست محصورة بزمن الاحتلال العسكري، بل قد تستمر حتى بعد زواله، في شكل تبعية فكرية وثقافية واقتصادية.

معوقات النهضة:

1- داء اللفظية. وهو انشغال الإنسان بالمظاهر اللغوية والبيانية على حساب الجوهر

والفعل، فحين يعجز العقل عن الإبداع الحقيقي، يلجأ الناس إلى تمجيد اللغة ويعتبرون الألفاظ معيارًا للكمال، فيظن المثقف أو الفقيه أن براعته اللفظية دليل على تفوقه.
ويزيد الأمر أكثر تعقيدا حينما ينفصل القول عن العمل ويصبح الكلام دو تأثيرا قاتلا لصاحبه وهو لا يدري يقول مالك بن نبي: ﴿ وهنا يؤدي بنا المقام إلى الحديث عن الحرفية فلقد أبدعت العبقرية العربية أجمل لغات العالم، ولكن هذه العبقرية كانت في موقفها مما أبدعت كالمثال الذي هام بتمثاله وقد أبدع مناقشه، والغرام بالكلمات أخطر من الغرام بالمعدن أو الرخام أو الحج ، فهو يؤدي أولا وقبل كل شيء إلى أن يفقد الإنسان حاسة تقدير الأمور على وجهها الصحيح، وهو أمر ضروري لكل جهد إيجابي من أجل البناء ﴾ بن نبي ،1984ص 58. ويقول مالك بن نبي إن اللغة العربية، رغم جمالها وعبقريتها، أصبحت معبودة عند بعض أبنائها، كأنهم عشقوا التمثال الذي نحتوه بدل أن يستخدموه لبناء حضارة. هذا "الغرام بالكلمات" أخطر من التعلق بالأشياء المادية
2- التبعية الاستعمارية. يرى مالك بن نبي أن الحضارة لا تُستورد، بل تُبنى من داخل الإنسان بإنتاجه وعطائه. لان " المجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسية لما يمكن على أية حال أن يضع المنتجات الضرورية لاستهلاكه، والمنتجات الضرورية لتصنيعه، ولن يمكن المجتمع في عهد التشييد أن يشيد بالأفكار المستوردة أو المسلطة عليه من الخارج .... فعلينا أن نكتسب خبرتنا وأن نحدد موضوعات تأملنا، وألا نسلم بأن تحدد لنا بكلمة علينا أن نستعيد أصالتنا الفكرية، واستقلالنا في ميدان الأفكار حتى نحقق بذلك استقلالنا الاقتصادي والسياسي بن نبي،1959،ص12.
يرى بن نبي أن الاستقلال الحقيقي يبدأ من الاستقلال الفكري، عبر إنتاج الأفكار ذاتيًا، وليس استيرادها. فبدون أصالة فكرية، لا يمكن تحقيق استقلال اقتصادي أو سياسي.
3-التحلل الخلقي والسلوكِي : يؤكد مالك بن نبي أن القيم الأخلاقية وليدة عقيدة الإيمان بالله، وعندما يغيب الإيمان أو ينحرف عن مسار التوحيد والايمان فإن النتيجة هي ظهور الفساد في عدة مجالات مما يبشر بالتدهور والسقوط للمجتمعات الإنسانية ﴿ومن الأمور المنطقية في قضايا الحضارات، أن الحضارة لا تتجدد ولا تقوم مرة أخرى إلا في إطار منطلقها الأول وخصائصها الذاتية، واستحضار ماضيها وربطه بحاضرها، لأن الانسلاخ عن منجزات التاريخ أمر مستحيل﴾ (10)خفاجي،1982،ص121.

يرى مالك بن نبي أن التحلل الأخلاقي والسلوكي يحدث عندما يضعف الإيمان بالله أو ينحرف عن مبدأ التوحيد، وهذا يؤدي إلى الفساد في المجتمع وانهيار الحضارة. وهو يؤكد أن القيم الأخلاقية مرتبطة بالإيمان، وأنه لا يمكن تجديد الحضارة إلا بالعودة إلى أسسها الإيمانية والأخلاقية الأولى، وربط الماضي بالحاضر، لأن التخلي عن الجذور التاريخية والحضارية أمر غير ممكن.

4- عقلية السهل والمستحيل : يرى مالك بن نبي أن الإنسان في صراع مستمر بين قوتين وهما : ﴿قوى سلبية تريد ارجاعه إلى الوراء باستغلالها طبيعة الاستقرار في الإنسان، وقوى إيجابية تدفعه إلى .الأمام إلى تحقيق مستقبله، فينبغي ألا تضعف القوى الإيجابية فينا عن الوصول إلى الحضارة﴾ ،بن نبي،1991،ص30 . وهنا يؤكد فيلسوفنا أن الإنسان يعيش صراعًا داخليًا بين قوى سلبية تدفعه للركود والتراجع، مستغلة ميله إلى الراحة والاستقرار، وقوى إيجابية تحفّزه للتقدّم وبناء مستقبله. ويؤكد أن النجاح والحضارة لا يتحققان إلا إذا قويت الإرادة الإيجابية في الإنسان، وتغلّبت على الميل إلى الكسل أو الاستسلام..- عقلية السهل والمستحيل.

ان هذا الضعف النفسي هو نتيجة للاستعمار، الذي زرع هذه الأفكار ليفقد الشعوب ثقتها بنفسها ﴿ينبغي علينا أن نتخلص من
نفسية المستحيل ونفسية التساهل، فليس هناك شيء سهل وليس هناك شيء
مستحيل ، فهذا الضعف الذي أصاب الأمة السلمية على المستوى النفسي،
إنما هو ثمرة من ثمار الاستعمار، غرسها في الشعوب ليحكم قبضته عليها،
أنّما الهمم هي التي تحطم المستحيل وتركب الصعاب ﴾
نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

وهنا .يؤكد مالك بن نبي على ضرورة التخلص من عقليتين خطيرتين أصابت الأمة الإسلامية:

1. نفسية المستحيل
2. نفسية التساهل

5- تحلل العلاقات الاجتماعية : حين تصاب المجتمعات بأمراضها الخفية، فإنها لا تنهار دفعة واحدة، بل يبدأ التفكك من نسيجها الأعمق وفي العلاقات الاجتماعية. فليست الدولة إلا انعكاسًا لهذه الشبكة، فإذا وهنت، وهن البنيان كله. و إذا رجعنا للمجتمع الإسلامي في بداية تأسيسه نجد أن ﴿أول عمل قام به المجتمع الإسلامي هو الميثاق الذي يربط بين الأنصار والمهاجرين، وكانت الهجرة نقطة البداية في التاريخ

الإسلامي، لا لأنها تتفق مع عمل شخصي قام به النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لأنها تتقف مع أول عمل قام به المجتمع الإسلامي، أي مع تكوين شبكة علاقاته الاجتماعية، حتى قبل أن تتكون تكونا واضحا. ﴾ بن نبي ،1974،ص 28

ولم يكن غريبًا أن يؤسس الإسلام مجتمعه الأول على رباط الميثاق بين المهاجرين والأنصار؛ فالهجرة لم تكن مجرد انتقال جغرافي، بل لحظة ولادة اجتماعية، حيث تشكل الوجود الجماعي قبل أن تتضح معالم الدولة .أن انهيار المجتمعات لا يحدث فجأة، بل هو نتيجة تراكمات داخلية تتسلل بصمت إلى عمق البنية الاجتماعية. تبدأ علامات التصدع من ضعف القيم وتفكك الروابط بين الأفراد، ثم تمتد إلى مؤسسات الدولة وسلطاتها. وعندما تفقد الجماعة تماسكها، يصبح الانهيار مسألة وقت. فالمجتمع لا يُقوّض من الخارج إلا إذا وُهِنت أسسه من الداخل.

وهذا ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف: ﴿ يوشك أن تداعى الأمم عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا، بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السبيل، ولينزع الله من صدور أعدائكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن، قيل: "وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت. ﴾ نفس المرجع السابق،ص29

ويشير الحديث الشريف إلى أن ضعف الأمة لا يكون بسبب قلة عددها، بل بسبب فقدان القوة الحقيقية الكامنة في القيم والإرادة. .

خامسا ـ شروط النهضة وبنية الحضارات.

1-التوجيه الجمالي : من شروط النهضة عند مالك بن نبي الاهتمام بالجمال الإنساني، وهو في هذا يستند إلى قول النبي ﷺ: "إن الله جميل يحب الجمال"، وهو ما يعكس ضرورة أن يكون لدى المسلم حاسة تذوق جمالية ترفض القبح، سواء في المظهر أو السلوك. ويقول في هذا:. ﴿يكفينا للتدليل على ذلك ما نراه مثلا من شأن ذلك الطفل الذي يلبس الأسمال البالية ، والثياب القذرة ، التي إن شئنا وصفها لقلنا إنها ثياب حيكت من قاذورات وجراثيم ، مثل هذا الطفل الذي يعيش جسمه وسط هذه القاذورات والمرقعات غير المتناسبة ، يحمل في المجتمع صورة القبح والتعاسة معاً ، بينما هو جزء من ملايين السواعد والعقول التي تحرك التاريخ ، ولكنه لا يحرك شيئاً ، لأن نفسه قد دفنت في أوساخه ،﴾ بن نبي،1986،ص91

انها حالة طفل فقير يلبس ملابس ممزقة وقذرة، فيبدو أمام المجتمع بمظهر يجسّد القبح والتعاسة. رغم أن هذا الطفل يمتلك عقلًا وساعدًا، أي طاقة يمكن أن تسهم في بناء

المجتمع وتحريك التاريخ، إلا أنه مهمَّش ومعطَّل لأن الفقر والإهمال طمسا نفسه وثقته بذاته. " ولا شك أن للجمال أهمية اجتماعية هامة ، إذا ما اعتبرناه المنبع الذي تنبع منه الأفكار ، وتصدر عنه بواسطة تلك الأفكار أعمال الفرد في المجتمع . والواقع أن أزهد الأعمال - في نظرنا - له صلة كبرى بالجمال ، فالشيء الواحد قد يختلف تأثيره في المجتمع باختلاف صورته التي تنطق بالجمال ، أو تنضح بالقبح ، ونحن نرى أثر تلك الصورة في تفكير الانسان ، وفي عمله ، وفي السياسة التي يرسمها لنفسه ، بل حتى في الحقيبة التي يحمل فيها ملابس سفره . ولعل من الواضح لكل إنسان أننا أصبحنا اليوم نفقد ذوق الجمال ، ولو أنه كان موجوداً في ثقافتنا》 نفس المرجع السابق،ص91

وهذا يبرز أهمية الجمال في حياة الإنسان والمجتمع، ويُبرز كيف أن الجمال ليس شيئًا ثانويًا أو بسيطًا، بل له تأثير كبير في طريقة تفكير الإنسان وتصرفاته.

فالجمال له دور اجتماعي مهم، لأنه يؤثر في أفكار الإنسان، وهذه الأفكار تُترجم إلى أفعال داخل المجتمع.

2-التوجه الأخلاقي عند مالك بن نبي : يؤكد مالك بن نبي في هذا الجانب على إنه 《لسنا هنا نهتم بالأخلاق من الزاوية الفلسفية ؛ ولكن من الناحية الاجتماعية . وليس المقصود هنا تشريح مبادئ خلقية ، بل أن نحدد (قوة التماسك) اللازمة للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية ، هذه القوة مرتبطة في أصلها بغريزة (الحياة في جماعة) عند الفرد ، والتي تتيح له تكوين القبيلة والعشيرة والمدينة والأمة,》 نفس المرجع السابق ،ص 88

يتناول مالك بن نبي في توجهه الأخلاقي البعد الاجتماعي للأخلاق، لا الفلسفي البحت. فهو يرى أن الأخلاق ليست مجرد مبادئ نظرية، بل قوة عملية تساهم في تماسك المجتمع وتشكيل وحدته التاريخية. فليست الأخلاق هنا موضوعًا للتشريح الفكري، بل وسيلة لبناء روابط الجماعة وتماسكها. هذه الأخلاق نابعة من غريزة "الحياة في جماعة" التي تدفع الإنسان للانتماء إلى قبيلة أو أمة. إذن، فالأخلاق عند مالك بن نبي شرط أساسي لنهضة المجتمع وبناء حضارته.

《يركز مالك بن نبي كثيرًا على موضوع الأخلاق كرافعة من روافع الحضارة، ويتحدث عن الأخلاق المطبقة عمليًا، لا النظريات المجردة. ويبرز أهمية العلاقات السليمة بين أفراد المجتمع، كما تجلّت في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، التي

كانت لبنة أساسية في بناء مجتمع سليم. فبفقدان الأخلاق، تتحول السياسة إلى تهريج ودجل.》 العبدة، ص. 122

ويضيف مالك بن نبي أن الأخلاق هي أساس تقدم الحضارة، وأن تطبيقها العملي أهم من مجرد الحديث النظري. يوضح كيف أن العلاقات القوية والمترابطة بين الناس، مثل مؤاخاة المهاجرين والأنصار، كانت أساس بناء مجتمع قوي. وعندما تختفي الأخلاق، تتحول السياسة إلى لعب وادعاء بلا قيمة.

3-الصناعة : يؤكد مالك بن نبي على أهمية الصناعة وضروري فهم معناها إذ يقول أننا **:** لا نعني بالصناعة ذلك المعنى الضيق المقصود من هذا اللفظ بصفة عامة في البلاد الاسلامية ، فإن كل الفنون والمهن والقدرات ، وتطبيقات العلوم تدخل في مفهوم الصناعة " نفس المرجع السابق،ص97

إن مفهوم "الصناعة" لا يقتصر فقط على المعنى الضيق الشائع في بعض البلاد الإسلامية، مثل المصانع أو الإنتاج المادي. بل هو أوسع من ذلك، إذ يشمل:

كل الفنون (مثل الفنون التطبيقية والحرفية)،

المهن (كالطب والهندسة والنجارة وغيرها)،

القدرات (أي المهارات المختلفة)،

وتطبيقات العلوم (أي استخدام المعرفة العلمية عمليًا).

الصناعة ليست فقط فائدة شخصية، بل ضرورة جماعية لضمان بقاء الأمة وتقدمها.

《ومن المسلم به أن الصناعة للفرد وسيلة لكسب عيشه ، وربما لبناء مجده ، ولكنها للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه ، واستمرار نموه .》 نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

يبيّن للباحث أن الصناعة لها وظيفتان مهمتان:

على مستوى الفرد: هي وسيلة لكسب الرزق، وقد تكون وسيلة لتحقيق النجاح والتميز الشخصي.

على مستوى المجتمع: تُعد أداة أساسية لحماية المجتمع، والحفاظ على وجوده، وضمان تطوره واستمراره.

4- الفاعلية. وتحت وطأة الصراعات الأوروبية ينفعل توينبي″ ليقدم فلسفة توطن الإنسان على الاستجابة لمختلف أنواع التحديات التي تواجهه حضاريا معتبرا درجة الاستجابة دالة على مدى تقدمه؛ كما تنطلق الفلسفات الوجودية من "الوعي" الإنساني الذي تدفع صاحبه إلى أن يتوسله للتحرر من شيئيته وعدميته ليخلق ذاته باستمرار لا

ينقضي، أو كفلسفة الحياة لـ "برغسون" التي تطالبه بـ "التطور الخلاق،» زقوطة،2010،ص16

ففي ظل الصراعات الأوروبية المتلاحقة، يتفاعل المؤرخ والفيلسوف أرنولد توينبي مع الواقع ليصوغ فلسفة ترى أن الإنسان مدفوع بطبيعته إلى الاستجابة للتحديات الحضارية التي تعترض طريقه، وتعدّ درجة هذه الاستجابة مؤشراً على مستوى تقدمه ورقيّه. ومن هذا المنطلق، تلتقي فلسفة توينبي مع التيارات الوجودية التي تنطلق من "الوعي" الإنساني، ذلك الوعي الذي يحثّ الفرد على التحرر من التشيؤ والعدمية، ليظل في حالة دائمة من خلق الذات وتجديدها. وهو ما يتناغم أيضاً مع رؤية "برغسون" في فلسفة الحياة، التي تدعو الإنسان إلى السير في طريق "التطور الخلّاق"، باعتباره شرطاً لتحقيق الامتلاء الإنساني والمعنى العميق للوجود.

نتائج البحث :

مما سبق يصل الباحث إلى مجموعة نتائج وهي:

1. النهضة تبدأ من الإنسان: يرى مالك بن نبي أن أساس النهضة هو "الإنسان الفعال"، القادر على تغيير واقعه، وليس فقط توفر الموارد أو الأموال.

2. شروط النهضة ثلاثة: الإنسان، التراب (الموارد)، الوقت. وهي لا تعمل منفصلة، بل يجب أن تندمج في إطار فكري وأخلاقي يحركها نحو البناء.

3. الاستعمار كعامل تعطيل: يعتبر أن الاستعمار الخارجي والداخلي (الذهني والثقافي) من أبرز معوقات النهضة، لأنه يزرع التبعية والانهزامية في نفوس الشعوب.

4. قابلية الاستعمار: الشعوب لا تُستعمر إلا إذا كانت قابلة للاستعمار، أي حينما تفقد وعيها بذاتها وتُعاني من خلل فكري وأخلاقي.

5. نقد العقلية السلبية: يهاجم بن نبي عقلية التواكل، والتشاؤم، والتقليد الأعمى، مؤكدًا أن النهضة تتطلب الوعي، والإرادة، والعمل المستمر

6. الدين كقوة دافعة: لا يرى الدين عائقًا، بل محركًا أساسيًا للنهضة، شريطة أن يُفهم فهمًا حضاريًا فهو يُحرّك الطاقات لا أن يُستخدم لتبرير الجمود.

توصيات البحث:

يصل الباحث إلى مجموعة توصيات تهم الباحثين والاكاديميين منها:

1. ضرورة إعادة بناء الإنسان المسلم فكريًا وأخلاقيًا، باعتباره المحور الأساسي في مشروع النهضة.

2. نشر الوعي بثقافة العمل والفاعلية وتجاوز مظاهر الاتكالية والتواكل المنتشرة في المجتمعات الإسلامية.

3. التحرر من آثار الاستعمار الفكري والنفسي من خلال مراجعة الموروث الثقافي وتنقيته من عوامل التبعية والتخلف.

4. دمج القيم الدينية بالحركة الحضارية، وذلك بجعل الدين مصدرًا للتحفيز والعمل، لا وسيلة للجمود والتقليد.

5. تعزيز التربية على الهمّة والإرادة في مؤسسات التعليم والإعلام، بما يزرع في النشء الإيمان بقدرتهم على التغيير.

6. تبني فكر مالك بن نبي كمرجع في دراسات النهضة، لما يحمله من عمق تحليلي وفهم واقعي لمشكلات العالم الإسلامي.

أهم المصادر والمراجع.

اولا :المصادر

1. مالك بن نبي: آفاق جزائرية، مكتبة عمار، القاهرة، 1971.
2. مالك بن نبي: بين التيه والرشاد، دار الفكر، دمشق، 2002.
3. مالك بن نبي: تأملات، دار الفكر المعاصر ، دمشق، 1991، ط5.
4. مالك بن نبي: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق، 1988، ط3.
5. مالك بن نبي: في مهب المعركة، دار الفكر، دمشق، 2002.
6. مالك بن نبي: فكرة الإفريقية الآسيوية، دار الفكر، دمشق، 1981.
7. مالك بن نبي: القضايا الكبرى، دار الفكر، دمشق، 2000، ط1420هـ.
8. مالك بن نبي: حديث في البناء الجديد، ترجمة عمر كامل مسقاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1959.
9. مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1987، ط4.
10. مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، دار الفكر، دمشق، 1992، ط1.
11. مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، القاهرة، 1984، ط4.
12. مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 2002.
13-مالك بن نبي،ميلاد مجتمع،1986،

تانيا:المراجع.

1. محمد العبدة: علماء ومفكرون معاصرون: مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، دار القلم، دمشق، ط1، 2006.
2. محمد بغداد باي: التربية والحضارة: بحث في مفهوم التربية وعلاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي، دار عالم الأفكار، الجزائر، 2006، ط1.
3. نورية بريون: مالك بن نبي: عصره وحياته في نظرته في الحضارة، دار الفكر، دمشق، 2010.
4. عبد اللطيف عبادة: صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، دار الشهاب، الجزائر، 1983.
5. محمد عبد المنعم خفاجي: الإسلام والحضارة الإنسانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
6. هدى بن زقوطة: الدور الحضاري للمجتمعات الآسيوية المعاصرة عند مالك بن نبي (اليابان أنموذجًا)، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2010.